

## السّلام الحقيقيّ

يعيش عالم اليوم في اضطرابات مستمرة : نزاعات ، حروب ، انقسامات ، اقتتال ، اضطهادات ... ، والكلّ يبحث عن السّلام ، لكنّه يتقدّم من سيّئ إلى أسوأ ، ويتساءل : هل أصبت الهدف ؟ والجواب يكون دائماً الفشل والخيبة ... .

أين نجد السّلام ؟ وهل من يبحث عنه بجديّة وإلحاح ؟ بعض النّاس منهمك في تحصيل الرّزق ، وبعضهم الآخر مترنّح كالسكران وهو يعيش في الملذّات والرّفاهية والتّنعم . وهم يعتقدون أنّ نجاحهم في تحقيق ما يصبون إليه يحقّق لهم السّلام ... ، لكنّ القليل جدّاً يسعى للسّلام الحقيقيّ ؛ ومن يصل إلى المنتهى ، فهذا يظفر به .

أين نجد السّلام على الأرض ، وكلّ أمة تطمع في الأخرى ؟ إنّها تحسد وتخاصم وتغدر ، ثمّ تحارب وتناضل لتسيطر ، مسقطّة من قاموسها كلّ القيم من أجل تحقيق مآربها . لكنّ الفشل في تحقيق السّلام يبقى طيّ صفحاتها حتّى تنساه إلى الأبد .

أين نجد السّلام في مجتمع تتآكله المذاهب والأحزاب والمعتقدات ؟ الكلّ يناضل ليثبت أنّه الأقوى والأصحّ ، ليلغي الآخر ويبقى هو ، إذ إنّ حبّ الرّئاسة والتّسلّط يسري في عروقه ، جاعلاً السّلام سراّباً في عواصف الظّلم والبغضاء ! ...

أين نجد السّلام في قرية أو بلدة يدوس فيها كبيرها صغيرها ، ويمتطي غنيها ظهر فقيرها ، ويظلم سلطانها شعبها ، ويأكل قويها لحم ضعيفها ؟ ! ...

أين نجد السّلام في بيت يثور فيه الزّوج على الزّوجة والعكس ، ويظلم الوالدان أولادهما ، ويحارب الابن أبويه ويعصيهما ، وتعيش الابنة على هواها بين التّعقيد والانفلاش ؟

الرَّجُل يحاول أن يبرهن رجوليتته ، والمرأة ترفض تسلطه وتقاوم بكلِّ قواها حتى تنتصر ، والأولاد يرفضون هيمنة الأهل معتقدين أن تربيتهم هي جهل وظلم وبهتان ! ...

أين نجد السَّلام في إنسان تثور فيه أمواج الانقسامات بين روحيَّة وجسديَّة ؟ فهو ، تارةً ، يعيش بحسب الرُّوح : يؤمن ويحبّ ويصليّ ويحسن ؛ وتارةً أخرى ، يعيش بحسب الجسد : يشكّ ويبغض ويفتر ويتوقع على نفسه ... يحبّ الله ، لكنّ الخطيئة تكبله ؛ يحبّ القريب ، لكنّ الأنانيَّة تعميّه ؛ يحبّ الطَّهارة ، لكنّ الشَّهوة الخبيثة تسببه ؛ يحبّ حياة السَّماء ، لكنّ الدُّنيويَّات تلصقه بالوحل ؛ يحبّ النُّور ، لكنّ الظَّلام يغيثه ... هذا ما يشير إليه بولس الرُّسول في الآيات التَّالية قائلاً : " لأني لست أفعل الصَّالح الذي أريده ، بل الشرّ الذي لا أريده فأياه أفعل " <sup>1</sup> . " فأني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي " <sup>2</sup> . " إذًا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ، ولكن بالجسد ناموس الخطيئة " <sup>3</sup> .

إذًا، أين هو السَّلام؟

يبدأ السَّلام من داخل الإنسان ، عندما يتناغم فكره مع قلبه وروحه . فإذا عرف الفكرُ كيف يتأمَّل الله ويدرس وصاياه باجتهاد ويلهج بناموسه على الدَّوام ، ينضبط ويتدرَّب على تمييز الخير من الشرِّ ، ويغربل كلَّ ما يدخله حتَّى يبقى طاهرًا نقيًّا ؛ فيدخله النُّور الإلهيُّ ويمكث فيه . أمَّا القلب الذي يلهث وراء شهوات مخزيه ، فهو قلب مظلم ومُدَمَّر . لكنّه إذا جاهد في حفظ البرِّ والطَّهارة والعفَّة ، طاردًا من داخله كلَّ صنم ابتكره من دنياه وزنى وراءه ، حارقًا بالدَّموع والتَّنهدات كلَّ أشواك خطاياها ؛ حينئذٍ ، يستنزل أنوار الفكر المقدَّسة ؛ فتتلاشى الظُّلمة وتتعطَّر

<sup>1</sup> رومية 7 : 19

<sup>2</sup> رومية 7 : 22 - 23

<sup>3</sup> رومية 7 : 25

الرّوح بندى تسايحه ، وينبض قلبه بالحبّ والتّواضع والرّحمة ... . بعد كلّ ذلك ، يدخل السّلام ظافراً ، ليتكى على أريكة الهدوء ، مصطحباً معه الفرح الحقيقيّ الذي يفوق كلّ وصف .

إنّ مقرّ السّلام الحقيقيّ يكمن في الفكر الطّاهر والقلب التّقيّ والرّوح العفيفة ؛ فالقداسة هي أساس السّلام ، لأنّها تبيد الخطيئة أساس كلّ انقسام . الخطيئة هي سلاح نحارب به الله فنصبح أعداءه . أمّا البرّ ، فهو سلاح الله ، به نتغلّب على الخطيئة والموت ؛ فنصير أولاداً لله . وأولاد الله إله السّلام<sup>4</sup> هم أولاد السّلام : " طوبى لصانعي السّلام ، فإنّهم أولاد الله يُدعون . " <sup>5</sup> .

إنّ مصدر السّلام الحقيقيّ هو الرّبّ يسوع ، منذ نشأة الكنيسة وإلى الأبد . به نطرد الخوف وكلّ اضطراب يحدثهما العدو المنظور وغير المنظور : " سلاماً أترك لكم ، سلامي أعطيكم ، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا ، لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب . " <sup>6</sup> . السّلام هو سلاحنا عند الاضطهاد ، فلا نهاب لا العذاب ، ولا الألم ، ولا الموت ؛ لأننا نوّمن بأنّ المسيح هو سلامنا <sup>7</sup> الذي صالحنا مع الله بصليبه <sup>8</sup> ، هو ينصرنا على أعدائنا ، ويرفعنا عن صليبنا المكلّل بجهادنا والمغمّس بدمائنا المهرقة لأجل حبيبنا يسوع ... . وبعد أن تعيش أرواحنا سلام الله ، تعلّم الجسد أن يهدأ ، بألمه ومساميره وأشواكه ، على الصّليب عرشه المجيد ، متمثلاً بفاديه يسوع . وبذلك ، يكون جهاده ذبيحة تسبيح لخالقه ، وعربون شكر لله على كلّ نعمه .

إذاً ، السّلام الحقيقيّ يعبر بنا ، على طريق الجلجلة ، من الصّليب إلى الحياة الأبدية مع الله . هذا هو فقط السّلام الذي سوف نحياه كاملاً في ملكوت الله ، له المجد إلى الأبد . آمين .

<sup>4</sup> عبرانيين 13 : 20 و رومية 15 : 33 وإشعيا 5 : 23

<sup>5</sup> متى 5 : 9

<sup>6</sup> يوحنا 14 : 27

<sup>7</sup> أفسس 2 : 4

<sup>8</sup> أفسس 2 : 16

